يصح القول انَّ حبَّ الوطن من الايمان

هذه كلها من اسباب الاعتبار فترى انها واسعة متعددة كاسباب الذكرى فما للمرء في رأس كل سنة الّا ان يرتشد بها فيخلد في قلبهِ ذكرى الماضي ويقدّم بالنظار العبرة للمستقبل وبهما ينال سعادة الدارَين

قصر اسعد باشا العظم في دمشق

بقلم عيسى اسكندر المعلوف (مؤلف تاريخ الأسر الشرقية العام)

توطئة

في ربيع سنة ١٩٢١م قدم سورية السيو استاش دي لوري (E. de Lorey) الفرنسي من قبل المجمع العلمي ومتحف اللوفر في باريس للتنقيب عن الآثار الاسلامية في دمشق. وفي اوائل سنة ١٩٢٢م ابتاع «قصر اسعد باشا العظم» ببلغ ستين الف ليرة سورية. واتخذه مقرًّا لهُ وبدأ بترميمه وجمع بعض الآثار اليهِ وأعلن انهُ سينشئ فيهِ مدرسة لتعليم الصناعات الوطنية التي اشتهرت بها سورية عمومًا ودمشق خصوصًا وعاد مرارًا الى باريس. وفي حادثة دمشق الاخيرة منذ شهر احترق هذا القصر وزالت محاسنهُ وتشتت آثارهُ فكتبتُ فيهِ هذه المقالة لتعريفهِ مزيّنة ببعض رسومه

آل العظم

اشتهرت هذه الاسرة في تضاعيف القرن الثامن عشر في سوريّة وقد كتب عنها كثير من المؤرخين مثل ثريّا بك في «السجلّ العثماني» وجودت باشا في «تاريخه المطوّل» ونعيما في «تاريخه العثماني» وابن البرزنجي في كتابهِ «كشف الحجب والستور عمّا وقع لاهل المدينة مع امير مكّة سرور» سنة ١١٩٤هـ (١٧٨٠م). والسويدي البغدادي في «حديقة الوزراء» والبديري الحلّاق الدمشقي في تاريخه «نخبة الفضلاء». وكوجك چلبي في «تاريخهِ العثماني». والشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في «تاريخه المخطوط»

والمرادي في « سلك الدرر » وشمس الدين سامي في "قاموس الاعلام » العثماني . وقولني الفرنسي في « رحلته الى سورية » وغسطاف لي بون في « حضارة العرب » . وكتانيش ومجاميع واوراق كثيرة وقفتُ عليها في دمشق في المكاتب العامّة وبعض الخاصّة ولاسيما آل العظم . وكلها تذكر الأسرة وتترجم مشاهيرها الوزراء واعمالهم . وبعضهم يذكرها باسم « عزيم اوغلي » ممّا يدلّ على انهم كانوا من قبيلة بني عزيم في البلقاء التي اشتهر منها شيخها ابرهيم في زمن السلطان سليم العثماني فاتح سورية ومصر سنة ١٥١٧م (٩٢٣هـ) فاتخذهُ السلطان محافظاً لجول (برّية) سورية ولقّبه آغا . ثم اخذ معه اولاده السبعة الى الاناضول رهائن خشية ان يثور عليه من كان منهم وزراء مثل عبد الرحمن باشا وحسن باشا دفين النسا وفارس باشا ويوسف باشا وخليل باشا واسمعيل باشا والآخر مات مجهولاً . وصرّح بعربيّتهم الشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في تاريخه المخطوط في مصر بعد سنة ١١٠٠هـ فذكر وفاة احدهم وقال: « ان هذا اللقب من الدولة وانما اصلهم عربان من بادية الشام » . ومما يرجّح عروبتهم انهُ لا أثر لهم في قونية وبين عشائر الترك حتى انهم لا يعرفونهم(١ . وقيل انهم اتراك من الاناضول والله اعلم

وقد نشأ منهم في قونية اخوان باسلان وهما قاسم بك العظم الملقّب بابي كتف الذي لم يعقب وشقيقه ابرهيم بك جدّ الاسرة العَظْمية الحاضرة في دمشق وحماة ومعرّة النعمان فتسلسل منهُ وزراء مهمون أربوا على بضعة عشر تولّوا شؤون سورية وضواحيها وبرّ الاناضول . ولكثير منهم أعمال خطيرة مثل بناء المدارس وتأسيس المكتبات وحفظ الاوقاف وتشييد الابنية وتقريب الشعراء والعلماء الذين مدحوهم والّفوا لهم بعض الكتب وكتبوا لهم ومن مشاهيرهم اسعد باشا صاحب هذا القصر(٢ . وفي كتابي «تاريخ الاسر الشرقيّة» تاريخهم وانتسابهم ومشاهيرهم

اسعد باشا العظم

هو الوزير اسعد باشا ابن اسماعيل باشا بن الامير ابرهيم بك الذي نشأ في قونية

١) اشرت الى هذا الرأي في مقالة لي سنة ١٩٢٢ في جريدة الف باء عن هذا القصر وآل العظم فقامت قيامة (مستفيد) وكتب في جريدة الاقبال بتاريخ ٢٥ شباط منها اعتراضاً جارحاً

٢) توجد أسرة اسلامية في دمشق باسم (العظمه) وأسر مسيحية في لبنان باسم عظم وعضيمي وعضاي ولا نسابة بينها وبين آل العظم هؤلاء

وكان جدّ هذه الاسرة المعروف . ولد اسعد باشا في دمشق سنة ١١١٣هـ(١٧٠١م) ودرس العلوم واللغات على عادة عصره فحذق التركية والفارسية والعربية وألمّ ببعض العلوم والآداب وبُرع بجياد الخيل والابنية فاكثر منها . وكانت اول ولايته على حماة فنال رتبة ميرميران ثم نال رتبة الوزارة سنة ١١٥٦هـ(١٧٤٣م) ونُقل الى ولاية دمشق خلفاً لعمه سليمان باشا فادار شؤونها اربع عشر سنة . وكان امير الحج ايضاً وترك اعمالاً كبيرة وابنية شاهقة . وسنة ١١٦٩هـ(١٧٥٥م) تولّى شؤون سيواس وعُزل عنها بعد نحو عامين وأبعد الى روسجق لتغيُّر الدولة عليه بسبب نسبة فتنةٍ اليه قام بها العرب على ركب الحجّ في عهد خلفه حسين باشا مكي زاده الغزّي من ممالكه . وقتل في طريقه الى روسجق في الخامس من شهر شعبان ١١٧١هـ (١٧٥٧م) وذلك بدينة انقرة داخل حمّام وأعقب ابنةً تزوّجها ابن عمها محمود باشا . واثنى عليه المرادي وغيره من مترجميه . وقال جودت باشا في تاريخه ما تعريبهُ : «انهُ بعد نفي اسعد باشا (اي العظم) لا يجوز اعطاء الحكم لاحد منهم او أتباعهم خشية ان يتعزّبوا او يثوروا على الحكومة»

وكانت لهُ اوقاف عظيمة وخيرات كثيرة فمن اوقافه «خان اسعد باشا» في دمشق وهو قرب داره في البزوريّة وبناء مقام السيدة زينب بظاهر دمشق وجسر الكسوة . ومن ابنيته الخان الشهير في معرّة النعمان لابناء السبيل . والخان والحمام والبركة العظيمة لابناء السبيل ايضاً في خان شيخون قرب المعرة . والخان لابناء السبيل ودار الحكومة في حماة وفيها قاعة فخمة حجمها نحو ربع القاعة الكبرى في قصره بدمشق ولكنها اجمل نقشاً قد حُفظت بغاية النظافة والدقة حتى كأنها خارجة الآن من تحت ايدي الدهّانين والمزوّقين وفيها حوشة حماة في ذلك العهد . والبرك العظيمة والقلاع المتينة التي بناها في طريق الحج منها في المعظم والاخضر والفحلتين وقلعة المدادين التي ارّخها شاعرهُ الشيخ سليمان بن احمد المحاسني الدمشقي (١ بقوله من ابيات سنة ١١٦٨هـ :

---

١) وقفت على ديوان هذا الشاعر في خزانة المجمع العلمي بدمشق ووصفتهُ بجلّته ورأيت فيهِ مدائح لآل العظم وتواريخ لابنيتهم ولاسيما اسعد باشا هذا فقد ارّخ صلح المدينة على يده سنة ١١٧٠هـ وقناة ماء بناها سنة ١١٦٧ وبناء داره هذه الموصوفة بهذه المقالة وهنّأهُ بقدومه من الحج وبمواقفهِ مع العرب الخ

حادي البشارة قد اتانا مملئاً في بيت تاريخ يضوع شذاهُ
حصن المدان قد بناهُ اسعدٌ في أمر محمودٍ أطيلَ بقاهُ

عدا ما اجرى من الخيرات والمبرّات في مكة والمدينة وبقيّة المدن التي تولّى شؤونها واهمُّها دارُهُ في دمشق وخانهُ قربها (١)

وصف القصر العظمي العام وطريقة بنائه

اذا انحدرتَ في سوق البزوريّة الى آخرها تجد على يمينك زقاقاً مرصوفاً موصلاً الى الدار العظمية الفخمة وهي ذات باب كبير برتاج الى الغرب ومنهُ يُدخل الى تلك الجانب المدهشة في الزخارف والاتقان والهندام . وحول المدخل غرف ذات ثلاث طبقات كلها مزخرفة السقوف والجدران مرصوفة بالفسيفساء ومزدانة بالنقوش البديعة . ثم تجد امامك الى الشرق فسحةً مهمة والى يمينها لجهة الجنوب القاعة الكبرى التي هي اجمل تلك الدار هندسةً وروائع نقوش وبدائع اصباغ ومحاسن ترتيب وتعرف باصطلاحهم الفارسي (بالخركاه) اي المثلثة لشكل هندستها المثلث . وقربها الحمّام وغرفه البديعة وفي الشرق غرف مرتّبة وكذلك في الشمال الى يسار الداخل حيث هناك غرف وراءها المطبخ العظيم وهو اشبه بدار تحته قبو عظيم يقال انهُ كان سجناً

وفي تلك الغرف والفسحة رُتّبت آثار قديمة من تماثيل اسد ضخم وجد في الشيخ سعد وهو حتّي مكسور وتماثيل اشخاص بعضها مشوّه وحيوانات اخرى من أسد وعجول وابواب حجريّة للمقابر والبيوت على بعضها صور ناتئة من الحجر الاسود (الحرّي) الحوراني ومذابح وتيجان اعمدة وقواعدها وكتابات . وفي الداخل آثار آنية زجاجيّة وخزفية ومعدنية على بعضها كتابات وبينها قطع مكسّرة مما وجده المسيو دي لوري في الباب الشرقي عندما حفر فيه وفي محلّة حنانيا وهناك قطع من البسط والسجاد القديم والاقمشة النفيسة المطرّزة وقد فرش بعض الغرف فرشاً شرقيًا وزيّنها ببعض الاسلحة والادوات . ووضع سجلًا للزائرين يدونون فيه اسماءهم وتُباع فيها رسوم دمشق والقصر

١) راجع وصف هذا الخان في (الروضة الغناء) للمرحوم نعمان قساطلي الدمشقي المطبوع (صفحة ١١٠)

وقد حدثني بعض الشيوخ المعمرين الدمشقيين نقلاً عن اسلافهم اخباراً غريبة عن بناء هذه الدار وما جرى للبنائين الحلبيين الذين استُقدموا لمساعدة الدمشقيين في هندستها وتفوُّق الدمشقيين عليهم بهندسة البناء وإحكامه . وكيف ان الاساس حُفر وسُدَّ بالحجارة وتُرك سنة كاملة حتى استقرَّ ورُصَّت حجارته فاستؤنف البناء عليه . ومما روي لي ان اجرة البنَّاء اليوميَّة كانت نحو عشرة قروش واجرة الفاعل نحو ثلاثة قروش وبقي العمَّال يشتغلون فيها احدى عشرة سنة . وقد أُهملت هذه الدار منذ نحو ثلاثين سنة وتهدَّم وخرب حمَّامها وقسم من ابنيتها العلوية ودرست بعض محاسنها وكان فيها ثلاثمائة وستون غرفة سُفلية وعُلوية

وقال الشيخ احمد البديري الحلَّاق في تاريخه المخطوط بخزانتي في سنة ١١٦٣ هـ ما نصُّهُ ببعض الفاظه العامية :

«وفي تلك الايام اخذ الوزير اسعد باشا دار معاوية رحمهُ الله واخذ ما حولها من الخانات والدور والدكاكين وهدمهم وشرع في عمارة دارهِ السرايا المشهورة التي هي قبلي جامع الاموي . وجدَّ واجتهد في عمارتها ليلاً ونهاراً وقطع لها من جملة الخشب اثني عشر الف خشبة وذلك ما عدا الذي ارسلوهُ لهُ اكابر البلد والاعيان من الاخشاب وغيرها . ورسم على حمَّامات البلد أن لا يُباع القصرمل(١ لاحد بل يرسل لعمارة السرايا واشتغلت بها غالب معلمي البلاد ونجاريها وكذلك الدهَّانين بل قلَّ ان يوجد معلم متقن او نجَّار او دهَّان كذلك الَّا والجميع مشتغلون بها . وجلب لها البلاط من غالب بيوت المدينة اينما وجدوا بلاطاً او رخاماً او غير ذلك مثل عواميد وفساقي (٢ يرسل فيقلعهم ويرسل القليل من ثمنهم . وكان في قريب بركة البرامكة قصر يقال لهُ الزهرانيَّة قيل هو من عمارة مُنذ الظاهر وهو على ظهر بانياس مطلٌّ على المرجة وكان منتزهاً عظيماً تهدَّم غالبهُ . وفي قربهِ مدفن وعليهِ قبَّة من حجر ورأس القبة مقلوع وفيهِ وحدة ... اخبروا حضرة الوزير اسعد باشا العظم صاحب العمارة عن هذه القبة وعن المدفن الذي بجنبها وان الاراذل الاشقياء يجتمعون عندها هناك ليلاً ونهاراً على فسق وفساد وغير ذلك فامر بهدمها حالاً ونقل حجارتها الى داره

١) ما يستخرج من مواقد الافران اينادما

٢) الفساقي جمع فسقيَّة بمعنى الاحواض

«وفي تلك الايام بلغ الوزير اسعد باشا: ان في وادي كيوان طاحونة قديمة يُقال لها طاحون الرهبان قد تهدّمت ولم يبقَ منها سوى رسوم اسفلها وانهـا مركبة على بانياس فحالًا امر حضرة الباشا بقطع نهر بانياس وان يخرجوا جميع ما فيها من اعمدة واحجار وينقلوهم الى الدار فاشتغلت الفعلة والحجّارة والبـاتنـة واستقاموا يقلعون الاحجار وينقلونها الى دار الباشا اثني عشر يوماً والنهر مقطوع عن اصحابه

«وفي يوم الخميس سادس وعشرين ربيع الثاني من هذه السنة عمل حسن افندي السفرجلاني وليمة لحضرة اسعد باشا بالصالحية في قاعة ابن قرنق وكانت ضيافة عظيمة قيل تكلّف عليها نحو احدى عشرة مائة غرش. فنظر حضرة الباشا الى سرّوات شاهقات في داره فطلب من صاحبهم علي آغا ابن قرنق قطعهم لاجل عمارة داره وعرض الباشا عليه شيئاً من المال فأبى ان يأخذ شيئاً وقطع لهُ ثلاث سروات ليس لهم نظير في الشام ولا في غيرها . ونقل من قرية بصرى احجاراً واعمدة من الرخام شيئاً كثيراً . واخذ من مدرسة الملك الناصر التي في الصالحية اعمدة غلاظاً جيء بهم محمّلين على عربات تُجرّ بالبقر وهدم سوق الزنوطيّة التي فوق حارة العمارة وكان كلّه اقبية معقودة فامر بفكّه ونقلهُ الى دارهِ المشار اليها ونقل اليها ايضاً اعمدة من جامع يلبغا . وانهُ مهما سمع ببلاط بديع او اعمدة او احجار من اي محل كان يأتي بها شراء وغير شراء»

(قال المؤرخ) : « وفي تلك الايام قُتـل ابن خطّاب الآلاتي في سوق البزوريّة وقت اذان العشاء جاءهُ ضرب سلاح على رأسه فوقع قتيلًا كأنهُ ما كان . هـذا ووزير الشام مشغول في عمارة داره ولم يلتفت الى رعاياهُ وانصارهِ . ويقول: ائتوني بحجارة المرمر والرخام والسرو وتفنّنوا بالبنـاء والنقوش والتحلية بالذهب والفضة وجلب عواميد الرخام على العجلات والبقر من بصرى. وخرّب سوق مسجد القصب واستجلب جميع ما فيه من احجار واخشاب وكل ما سمع بقطعة او تحفة من رخـام او قيشاني او غيرها يرسل فيأتي بها ان رضي صاحبهـا او أبى . واذا اراد الفقير ان يعمّر ويرمّم لم يجد معماريّاً ولا نجاراً ولا خشباً ولا مساراً ولا تراباً ولا قصرملًا ولا احجاراً وهذا مع غلاء الاسعار وحاول الاكدار. وقد اخذ حضرة الباشا قدراً وافياً من ماء القنوات فما وصل الى السرايا حتّى تقطعت السبل ومياه غالب الجوامع والحمامات وبقي مدة مقطوعاً حتى عن غالب البيوت »

ومما ذكرهُ البديري في حوادث سنة ١١٧٠هـ ما نصُّهُ :

« وفي تلك الايام جاء الخبر بقتل اسعد باشا ابن العظم والي الشام سابقاً . وبعد ايام جاء قبجي من جهة الدولة بختم سرايتهِ وضبط مالهِ وختم بيوت جميع اتباعهِ واعوانه وضبط مالهم ورفعهم الى القلعة . وازدادت الشدة وصارت امور واهوال في دمشق الشام ما وقعت في سالف الازمان . ثم جاءت اتباع ابن العظم اسعد باشا . ودخل القبجي الى السرايا فاخرج الدفائن العظيمة من سرايتهِ فاذا هي كالكنوز المودوعة فيها فاخرجوا من الارض ومن الحيطان والسقوف والاحواض حتى من الادبتات(١ دراهم ودنانير وامتعة نفيسة لا تقام بقيمة . ومجوهرات مما لا يعلمهُ الّا الله تعالى والحكم لله العلي الكبير»

وذكر في محل آخر : « وجاء سلحدار من قبل السلطان لتحصيل المال من سليمان باشا العظم فارسل خلف المعمرية(٢ الذين عمّروا السرايا وكانوا نصارى وكان معلم نصراني يقال لهُ ابن سياج فأمر القبجي بتعذيبهم»

وذكر في تاريخ سنة ١١٦٦هـ : « وفي تلك الايام من هذه السنة شرع حضرة اسعد باشا في عمارة القيسارية التي في البزورية التي عز نظيرها في الدنيا وذلك بعد ما هدم قيسارتين ودور ودكاكين وجعلها قيسارية واحدة بهذه الصفة التي لا نظير لها»

وجاء في ذيل القرماني المخطوط عن نسخة نُقلت من الخزانة السلطانية في القاهرة ما نصُّهُ :

« وفي سنة ١١٦٣ بنى الوزير المرحوم اي اسعد باشا ابن اسمعيل باشا داراً عظيمة في قرب جامع بني اميَّة لصيق محلة الدهبياتية في سوق العطارين البزورية وأنفق عليها جملة اموال عظيمة حتى قيل جملة ما انفق اربعمائة كيس داخل كل كيس خمسمائة قرش وهذه كرى العمال . واما الخشب والبلاط والتراب وغيره فكله من رزقهِ ومن بساتينهِ

« وقيل ان داخل الدار اماكن عديدة كل واحدة لا تشبه الاخرى وجميعهم بماء الفضة والذهب واللازورد والبلاط الرخام العظيم . وحاصل الامر نقلوا عن من رأى

(١ بريد المراحيض وبيوت الخلاء

(٢ تقول العامة العامرية والعمارية اي البنّائين

وساح في البلاد ان ليس مثلها في ملك بني عثمان حتى ولا سراية الملك العظم . وتمّ العمّال(١ يشتغلوا في دار الحريم سنتين وما تمّ وعدد العمّال من غير ضبط فوق الثمانمائة والله اعلم»

وقال في محلّ آخر من هذا الذيل : «ومن جملة ما عمّر (اسعد باشا) جسر الكسوة من الرأس الى الرأس وعرّضهُ سنة ١١٦٥ وارسل الى الدولة رفع الذخيرة الصغيرة عن البلاد وهذه تبلغ مقدار خمسة عشر كيس ثم تولى بعده محمد باشا الراغب» (اه)

يقول كاتب هذه المقالة : وعلى الجملة فان القصر العظمي بديع الهندسة جميل الغرف رفيع البنيان طبقات ترى النقوش في جدرانها الخارجية والداخلية وفيها الحمامات والحدائق والحياض والبخريات (المداخن) وانابيب المياه موزعة بطرق فنية . وفيها الفوّارات والشلّالات في داخل الغرف بهندام يأخذ بمجامع الابصار . وهناك انواع الفسيفساء والنقوش والتخريم كلها تمثل اشكالاً هندسية ونقوشاً عربية واشجاراً وحيوانات حتى لا تكاد تجد غرفة تشبه الاخرى بشيء من نقوشها او هندستها او اصباغها . وقد بُذلت العناية بالتذهيب حتى حُفظت الوانه مشرقة وكذلك الرصف بالبلاط والقيشاني وفصوص الحجارة الملونة والاعمدة اللطيفة ذات الالوان المختلفة . وعلى الجملة فهذا القصر هو آية البناء الشرقي ومنتهى ما ولّده تفنّن الدمشقيين في ذلك القرن بصناعتهم البنائية والنقشية وما يتعلّق بها . واذا جُمع ما كُتب بالذهب على جدرانه وسقوفه من الآيات والحكم والاشعار ملأ كتاباً فهو اشبه بتحفة صناعية منه بقصر . ولقد وصفهُ كثير من الشعراء ومعظم اقوالهم نُقش بخط جميل على القاعات جدرانًا وسموكًا . ومما وقفتُ عليه من ذلك اخيرًا قول السيد احمد البربير (الذي جمعتُ ديوانهُ المخطوط النفيس) يمدح محمد بك بن علي بك بن محمد باشا العظم في داره بدمشق من قصيدة :

يا دارَ اسعدَ باشا لـلـه درّكِ من
بطامة أبن عليّ ابي السعود محمّدْ
يا سيدي عشْ سعيدًا فان جدك اسعدْ

وهذا القصر الفخم هو من دور معاوية الاموي ويُرجّح انه من اصل قصر

١) تمّ بمنى «لابقي» بلغة العامة

الخضراء الذي كان دار الخلفاء الامويين . ولهُ بقية الآن قرب القصر العظمي تسمّى «مصبغة الخضراء» الى جنوبي الجامع الاموي

وصف هذا القصر لشاهد عياني

وقفتُ منذ ثلاث سنوات عند صديقي الوجيه محمد خليل بك العظم في دمشق على رسالة وضعها في وصف القصر العظمي قبل خرابه واهماله منذ ستين واسمها «الدرر البهية بوصف السراية الاسعدية» فنقلتها وهذه هي بنصّها مع بعض حواشٍ واستدراكات علّقتُها عليها تتمة للفائدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي علّم الانسان ما لم يَعلم، وفضّله على سائر المخلوقات بما عليه انعم، ومن نِعَمه ذاك العقل اللطيف العزيز، الذي هو افضل وابهى من الذهب الابريز، فاتقن به كل فنّ عجيب جميل، وذلك من مواهب الملك الجليل، يرزقه لمن يشاء وهو ذو الفضل العظيم

«وأُصلّي وأُسلّم على صاحب الشرف والوسيلة، سيدنا محمد المتخلق باحسن الاخلاق الجميلة، صلّى الله عليه وسلّم، وزادهُ فضلًا وكرمًا، وعلى آلهِ، وكل ناسج على منوالهِ،

«وبعدُ فقد طلب مني بعض الاخوان وهو من اجلّ الاحباب الكرام، أن اصف لهُ هيئة دارنا التي في الشام، وما بها من لطائف المصنوع، وغرائب ما بها من الدقة موضوع، وهي موقعها قبلي جامع بني امية الشهير، وتنتسب لمشيدها الشهير بابن العظم اسعد باشا الوزير، في محلة البزورية، فشرعت بجميع وصف تلك الدار السنية، وسميته «الدُّرَر البهية بوصف السراية الاسعدية» فاقول:

«ابتدأ أسعد باشا بعمارة داره في سنة ١١٦٠ فاتمّها في سنة ١١٦٣ حكم تواريخها

حين انتهائها . فابتدأ بحفر اساسها فحفر الاساس وبناها بالحجر الغشيم (١ والكدّان (٢ قيمة اربعين ذراعاً ارتفاعاً وعرضاً ذراعين ونصف اوسط البناء حجر غشيم وظاهره . واما باطنهُ لوجه الدار حجر نظيف مزّي (٣ ابيض واحمر واسود فبنى جميع جدارها كما وصفنا وبنى جداراً آخر متصلاً بجدار الباب حاجزاً ما بين الدخول من الباب وهو دهليز (٤ عن ارض الدار وعلو ارتفاعهُ كالجدران الاولى . وبنى فوقها قصوراً على باب الدار يأتي وصفهم . فيدخل من باب الدار الى دهليز مستطيل شرقي طولهُ خمسة وعشرون ذراعاً وعرضه سبعة اذرع . ثم يلفّ (٥ لدهليز آخر قبلي بقدر الاول طولهُ وعرضهُ . ينتهي الى فسحة تجاه الدار فيدخل الى الدار من تلك الفسحة لباب دهليز شمالي صغير طولهُ ثلاثة اذرع وعرضه كذا لبابهِ ايضاً . وطول دهليزه وعرضهُ كالاوّل لبابهِ كذا يدخل منهُ لدهليز مستطيل ثم لارض الدار

• ثم اخذ من اصل الدار ما ينوف على مساحة مائة وثلاثين ذراعاً طولاً وعرضاً مائة ذراع فسحة للدار . وبنى بها من القاعات ثلاثة : احداها قبلية وهي القاعة الاولى (٦ اعظم بناء في الدار والطف وأفخر فاخذ مساحتها طولاً وعرضاً ستمائة ذراع وبنى اساسها كاساس الدار وارتفاعهِ وعرضاً قيمة ذراعين ومن اعلى الارض ارتفاعها قيمة خمسة وثلاثين ذراعاً وبنى ظاهرها بالحجر المزّي والابيض والاسود وواجهة للدار اكثرهُ من الحجر النافر (٧ متقن الصناعة . وبالداخل حجر مرمر ورخام . وجعل لها ثلاثة اوارين واحد صدراني (٨ واثنان متقابلان . وكل ايوان جعل فيهِ تسعة شبابيك . فالايوانان المتقابلان لبعضهما نقشهما ـ واه وسائر احجارهما منقوش منزّل بهِ ذهب . وبهِ ايضاً من الذهب النافر والعروق والمشجّرات من الاحجار المحفورة بحائطها المنزلة بناء الذهب ما أتقن صناعته . وجعل فوق كل شباك قمرية (٩ من ابدع

---

١) هو غير النحيت

٢) نوع من التراب الابيض المتحجر الجاسي او الحجر الرخو

٣) من المزة بلدة بظاهر دمشق ربما كان اسمها يونانياً بمعنى (التلة) ومثلها قرية (ماسا) فوق زبداني

٤) لعلها «دوهوى» اي نزل . والدهليز النفق والسرداب تحت الارض فارسي

٥) ينعطف

٦) هذه هي القاعة الكبرى المتقنة

٧) النافر

٨) نسبة شاذة الى الصدر

٩) بمعنى النافذة او الطاقة لعلها منسوبة الى القمر لدخول ضوئه منها او لاستدارتها

ما يكون بلور ومنقوشة بماء الذهب والدهان والكتابة الجميلة . وكل من القمازي الذي فوق الشبابيك الصدارة (١ من الايوانين مكتوب به في الوسط « هو الخلاق الباقي» في ماء الذهب وهي مستديرة كالدائرة والذي بجوانبها مستطيلين مكتوب على كل منهما «محمد رسول الله» في ماء الذهب كل من الايوانين المتقابلين . وعلى دائرهما فوق الحجر المنقوش حلقة من الخشب المتقن الصناعة والدهان ومكتوب بها في ماء الذهب «احاديث رسول الله» (ص)

« واما الايوان الصدراني فجعله مثلهم في العمارة بل زاد به في صدره سلسبيل ماء ينزل منهُ الماء وجعل ذلك السلسبيل من الاحجار القيشاني على عمودي مرمر . وابدع في نقش احجاره من الذهب النافر المنزل (٢ . وجعل به ايضاً تسعة شبابيك على كل شباك قمرية ايضاً بلور منقوشة في ماء الذهب . القمرية الصدرانية من الايوان مستديرة مكتوب بها« كلما دخل عليها زكريا المحراب»(٣ . وبجانبها الايمن والايسر قمريّتان مستطيلتان . فباليمنى «يا حافظ يا معين» وبجانبها الايسر « يا حنّان يا منّان » وبالجنب الغربي من الايوان المذكور بالقمرية الوسطى « لا اله الّا الله نصرٌ من الله وفتحٌ قريب» وبجوانبها «يا حي يا قيوم» « يا مجيب الدعوات » وبالجنب الشرقي «يا قاضي الحاجات . لا اله الّا الله في كل وقت وحين . لا اله الّا الله حتى ترث الارض ومَن عليها وانت خير الوارثين» . وكل تلك الكتابة على هاتيك القماري بماء الذهب مع النقش من العروق والمشجّرات من جميع الادهان العجيبة . ومنقوش على حلقة ذلك الايوان الخشب (٤ تاريخ انتهاء عمارتها بابيات في مدح صاحب الدار وهي بماء الذهب واتقان صنعة الخط الجميل :

قاعة اشرقت بشمس الصدارَه وبها السعدُ سانٌ بالبشارَه
وباغصان دوحها كلَّ وقتٍ يُنطق الصفوُ بالسرور هزارَه
وبأبراجها مطالعُ سعدٍ تنتحيها الكواكب السيّارَه
قد بناها الوزير (اسعد) من قد أخذ (٥ الله في المعالي فخارَه

---

١) يريد التي في صدر الايوانيين
٢) بمعنى المرصّع ٣) اي على مريم . ورد هذا في سورة آل عمران
٤) يريد الخشبي ٥) بمعنى وطّد وثبّت

الهمام الشهم المفيد الفذّى من غدا الحمدُ والثناءُ شعارَهْ
آسفُ الوقت من حوى حسن رأي لم تكن تلحق العقولُ غبارَهْ
من خفوق الرياح فاح ثناهُ والعطايا من جوده مستعارَهْ
جاء تاريخها ببيت فريد هو كالدرّ أبرزتهُ بحارَهْ
يا لها قاعدة بلوح لديها كلُّ يوم جاء عزّ الوزارَه (١١٦٣).

وجعل داخلها خزنة (١ متسعة وجعل بابها من احد الشبابيك التسعة الموجودة في ذلك الايوان. وجعل بها عتبة لا تكاد توصف بما فيها من الصناعة المفتخرة الجميلة. وهي قد جعل كل شعيرة (٢ ايوان اي من طرف نزول الايوان الى القبة باحجاره المرمر والمزّي والرخام والاحجار المشكلة الصغيرة القدر. ووضع بارض القبة اربعة احجار مقابل بعضها بعضاً لا يكاد يوصف حسنها وليس لها مثال في شامنا سوى اربعة احجار صغار في الجامع الاموي. وما بين تلك الحجارة الاربعة حجارة ملوّنة مقطّعة صغار وكبار. الصغيرة منها لا تبلغ الزرّ محكمة الصناعة والاتقان. وبين تلك الحجارة الاربعة التي مساحة كل منها طولاً ذراعين ونصف وعرضاً ذراع ونصف بحرةٌ (٣ صغيرة مستديرة عبارة عن ثمانية اذرع استدارتها مركبة على اربعة وعشرين حجراً منحوتة مركبة ملتصق بعضها ببعض لا يدخل بينها مثكٌ (٤ ابرة كانها حجر واحد وكل حجرين منها متشابهان متقابلان والاربعة وعشرون حجراً مثقوبة يخرج منها الماء بشدة وكل ثقب يخرج منه الماء يسبع من النحاس المطلي بالفضة والذهب. وكل من جميع الاحجار كل شكل يلائم شكله. ثم اوسط البحرة كاس من الرخام الابيض مخرّم تخاريم لطيفة ومنقوش نقشاً جميلاً يخرج ايضاً منه الماء من مواضع متعددة ما ينوف على خمسين محلاً بشدة يخرج الماء ويعاو قيمة ذراعين. وابواب الشبابيك التي في القبة بجوانب باب القاعة والباب ايضاً مرصعة بفصوص الصدف. ومقابل الشبابيك ايضاً شبابيك الايوان الصدراني. الصدارة ابوابها ايضاً مرصّعة بفصوص الصدف. وعلى الباب من الداخل احجار مقطعة صغيرة منقوشة لا تكاد توصف منزّلة بماء الذهب. وعلى الباب قريتان ملتصقتان بلورهما منقوش بماء الذهب وبها مشجّرات وما

١) الخزنة والخزانة مخدع داخلي
٢) الشعيرة اشبه بمقعد من الحجارة
٣) الحوض والبركة
٤) اي محلّ شكّ ابرة

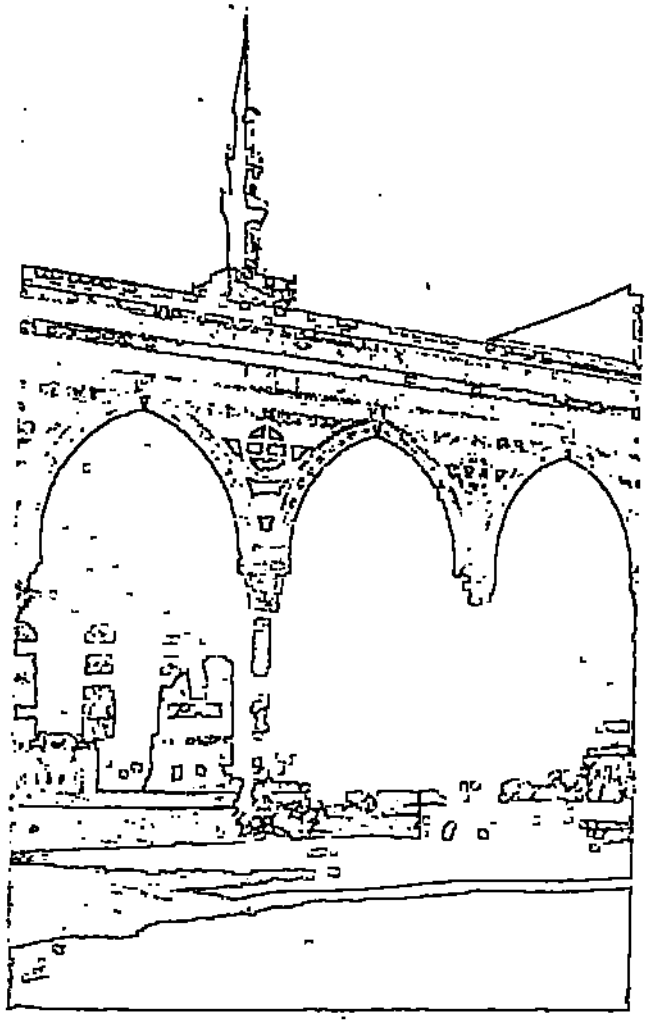

ناحية من قصر اسعد باشا العظم في دمشق

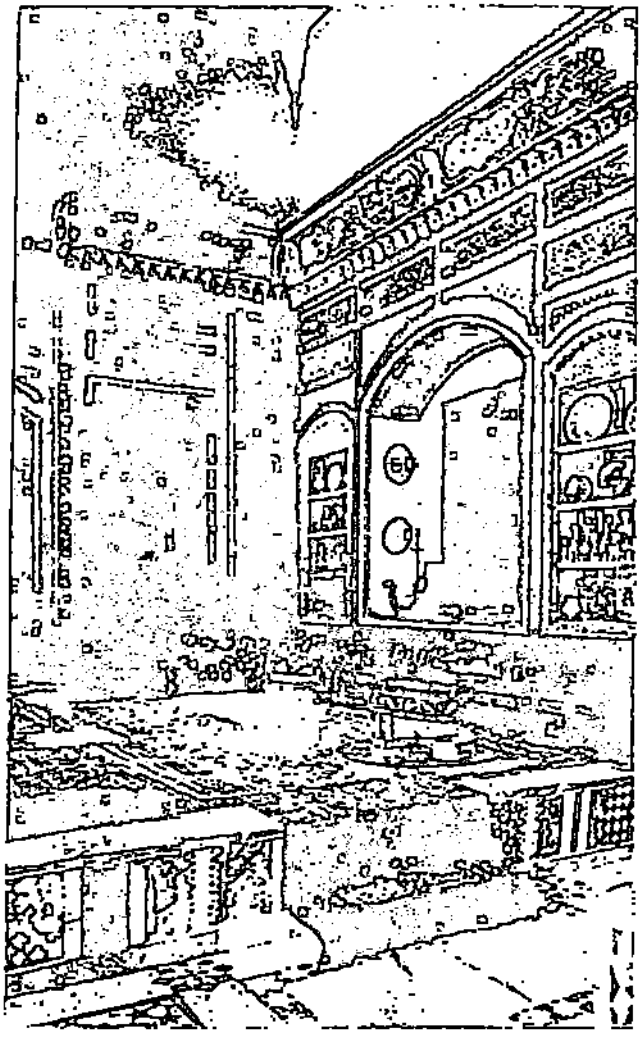

ناحية ثانية من قصر اسعد باشا العظم في دمشق

اشبه ذلك من السرو والنخل بماء الذهب . وتلك القمريتان بينهما عمودان من رخام ملتفان بعضهما على بعض وبينهما نازل بصورة حية ايضاً من الرخام النافر

وكل من الاواوين والقبة بسقف له طوان (١ من الخشب المتقن الصناعة الذي في زماننا الحاضر لا يمكن عمل مثله . اكبر قطعة من الطوان من الخشب لا تبلغ نصف ذراع طولاً وربع عرضاً منزّل في بعضه مدهن بالدهانات اللطيفة ومنقوش بماء الذهب . وخارج الباب على قدر الباب برواز (٢ من الحجر المزّي والمرمر المنزل بماء الذهب المرصع بفصوص الصدف وعلى باب القاعة من الخارج مكتوب ايضاً تاريخ على الحجر النافر بماء الذهب وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين

بإسم (٣ الله حلّ بها التهاني وحمد الله من حسن البضاعة
وبالتوفيق والاتقان شيدت كنور نيّر ابدا (٤ شعاعه
لها الاقدار فاهت في علاها بتاريخ أتى فرد الصناعة
امير الحاج أسعد في كمال حباهُ الله بالاكرام قاعة (١١٦٣)

ولها فسحة تجاه الباب بمقدار خمس اذرع طول وذراعين ونصف عرض . ومن كل ناحية من تلك الفسحة درج الى ارض الدار مقدار سبعة درجات بالحجر الاسود النظيف . وعلى طرف الدرجين الى الدار والفسحة درابزين حديد الى اسفل الدرج وبقدر الدرجين والفسحة التي تجاه القاعة دكّة مرتفعة عن ارض الدار قيمة ذراع مربع والدرابزين الحديد محتاط بها وهي جميعها مرخمة (٥ بانواع الحجارة الجميلة . وبصدر تلك الدكّة باسفل الفسحة التي تجاه القاعة مناصف الدكة (٦ سلسبيل ينزل منه الماء من ماء البحرة التي بالقاعة فينزل الماء من السلسبيل بساقية بنصف الدكة . وتلك الساقية مقدار

١) الطوان هو السَّمك اي السقف الداخلي
٢) دائرة وإطار فارسية
٣) وفي التاريخ المنقوش على صدر القاعة الآن «بيسم»
٤) الاصح ان تكتب «أبدى» بمعنى اظهر بالالف المقصورة
٥) اي مبلطة ومرصّعة ٦) اي مقابل نصف الدكة

قيراطين عمقها وعرضها ثلث الذراع. مفروشة بانواع الرخام الصغير القدر فيتزل الماء لراس الدكة بتلك الساقية. ويرأس الدكة الى جانب ارض الدار بوسط الدكة المذكورة فسقية (١ جميلة المنظر حجرًا واحدًا يخرج منها الماء ويدور بتلك الفسقية دورات ليصل لخارج الفسقية فيجتمع ماء الفسقية وماء السلسبيل فيصبّان في سلسبيل ثانٍ لساحة ارض الدار لتصريف الماء. وتلك القاعة جُعل تحتها فاضي(٢ قبو على قدر جميعها

﴿والقاعة الثانية﴾ جعلها شمالية فاخذ مساحتها قيمة مائة وستين ذراعاً فأسسها كالاولى وطلع في ارتفاعها عن الارض قيمة عشرين ذراعاً. وجعل بهـا ايوان واحد وتسعة شبابيك فأبدع صنعة ذلك الايوان جعل دائرهُ حلقة من الخشب ودهن ذلك الخشب بالدهان العجيب والنقش بماء الذهب وجعل لسقفه طوان من ابدع ما يكون من الصناعة المتقدم شرحها في طوانات(القاعة الاولى) وكله مذهّب بماء الذهب. وعلى دائر الطوان مكتوب بماء الذهب مدح بحق رسول الله (ص) وبعض من البُردة (٣ والهمزيّة (٤ وباعلى الحلقة ابيات هي:

حمدًا لمن منح الاحسان والجودا وخلّدت شكرهُ النعماء تخليدا
واوسعَ الخلق افضالاً وكان بهِ مستوجباً منهمُ شكرًا وتحميدا
ووفّق البطل الكرّار اسعد من اولاهُ مولى الورى سبرًا وتأييدا
امير حجّاج بيت الله مَن فتحت رايتهُ لهمُ ما كان مسدودا
صدرُ الصدور الذي دانَ الزمان لهُ وبدّد البغيَ والعدوان تبديدا
عهدُ الوزارة لم يتجبْ باكرمَ من ذا الصدر اذ كان بالاسمار موعودا
كم فرّقت مزّمات منهُ ماضيةً كتائباً وجيوشاً قلّلُ اليدا
فقد أجدّ بناء المكرمات بما يفيد ذكرًا مدى الايام محمودا
وشاد باليُمن اسنى قاعة شرُفت حتى غدت منهلاً للجود مورودا
بلابل السعد في اغصان دوحتها تغري المسامع بالافراح تغريدا
فما الحوَرْنق في إبداع صنعتهِ يحكي لها رونقاً حسنًا وتشييدا

١) الفسقية الحوض لاتينية ٢) الفاضي الفارغ
٣) التي مطلعها: أمن تذكّر جيرانٍ بذي سَلَمٍ مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدمٍ
٤) التي مطلعها: كيف ترقى رقيّك الانبياء يا سماء ما طاولَتْها سماء

كانما النقش يبدو في جوانبها كواكبٌ نُضِّدت في الافق تنضيدا
قد حصَّنتها المثاني والكتاب فان طَرَفُ الحسود رآها عاد مردودا
يحفُّها النيث والازهار يانعةٌ فيشهد الطرف للسرَّاء تجديدا
ومذ باكمالها منَّ الاله أتى بيت بتاريخه كالدرّ منضودا
فه قاعة مجدٍ لم يزل ابدًا يزهو عليها لواء المجد ممدودا (١

«وجعل ايضاً بها عتبة واسعة بمقدار ثمانين ذراعاً وجعل للايوان شعيرةً كشعائر القاعة الاولى متزّلة جميعها بفصوص الحجارة الصغيرة المرمر والمزّي والصدف وارضها كذلك. وعلى دائرها للجهة القبلية الباب وشباكان وللجهتين الشرقية والشمالية ستة مصبَّات منقوشة بتلك الاحجار الجميلة وبالارتفاع للطوان منقوش نقش بناء الذهب يحتار به العقل وباوسط تلك العتبة بحرة ماء باربعة اثقاب يخرج منها الماء بسباع من النحاس الطلية بشدَّة. واحجارها جميعها من القطع الصغيرة المتحوتة المركبة المحكمة الصناعة والاتقان وبابها بمصراعين من الخشب المعبر المنزّل بفصوص الصدف

﴿والقاعة الثالثة﴾ جعلها شرقية فاخذ مساحتها ثلاثمائة ذراع واسها كالاولى وطلع في ارتفاعها عن الارض قيمة عشرين ذراعاً وجعل بها ثلاثة اواوين على دوائرها شبابيك ودواليب. وجعل لأسقُفها(٢ طرانات من الخام الملبَّس بالجبصين والمنقوش بناء الذهب النقش الجميل. ولها عتبة جميلة باحجار مرخَمة. وفي اوسط القبة بحرة ايضاً باربعة اثقاب يخرج منها الماء كالقاعة الثانية واحجارها بالرخام المحكمة الصنعة. وفي احد الاواوين باب يُدخَل به الى خزانة متسعة وفي تلك الخزانة درج من الخشب يطلع منهُ الى ثلاث فرنكات (٣ صغار لاجل الشتاء فيها مركَّبات بظهر تلك الخزانة

«وجعل في قسحة الدار جنينتين» ﴿احداهما﴾ بنصف الدار اخذ مساحتها من اصل مساحة الدار قيمة ثلاثين ذراعاً طولًا وعرضاً عشرون وجعل في اوسطها ثلاث مساطب كبار مساحة كل واحدة ثلاثون ذراعاً طولًا وعرضاً ملتصقتان بعضها ببعض.

١) مجموع جمَل هذا البيت = ١٠٦٢ فلملمْ حسب الف (ق) لتكون السنة (١٠٦٣)
٢) يريد السقوف جمع السقف
٣) الفرنكة في عرف الدمشقيين الغرفة العلوية للشتاء جمعُها فرنكات

شرقية . وشمالية . وغربية . ولجهة القبلة اثنتين صغار مساحة كل واحدة ستة اذرع طولاً وعرض واحدة ملتصقة بالشرقية . والاخرى بالغربية وبينهما استطراق الى خارج الجنينة . وتلك المساطب جميعها من الحجر المزّي الابيض والاحمر والاسود والرخام الملون وبدائرها درابزين (١ صغار من الخشب المدهون . ولها عتبة باسفلها محاطين بها . وهي من الحجر المزي الابيض والاسود والاحمر والرخام الملون وفي وسط تلك العتبة فسقية ماء من الرخام النافر المخرَّم وتمثالها كالقبة مرتفعة قيمة ثلاثة اذرع . ويخرج الماء من جوانبها كلها ما ينيف عن ثلاثمائة ثقب يخرج منها الماء . والاستطراق لخارج الجنينة ايضاً من الحجر المزي . ودائر تلك المساطب تلك الجنينة بالزرابع (٢ المتخرة والمشجّرات والورود والزهور . وعلى دائر الجنينة درابزين خشب مدهنة . ومركب على تلك القبة صقالة (٣ على ستة عواميد من الخشب على المساطب مرتفعة . وفي وسط ثلك الصقالة قبة من الخشب المتقن الصناعة مرتفعة فوق القبة الى الفسقية فيخرج الماء من ثقب في وسط تلك الفسقية بشدة ليصل الى قبة الصقالة وبينهما قيمة ستة اذرع . وفوق تلك الصقالة مغرس من اصناف الزرابع من ياسمين بلدي وعراتيلي (٤ وغير وفلّ ومن الزرابع النعشة الرائحة الجميلة المنظر

﴿والجنينة الثانية﴾ اخذ مساحتها قيمة مائتي ذراع من فسحة الدار المذكورة وجعل فيها من الزرابع المعتبرة ايضاً والمشجرات المتخرة كالاولى وبدوايرها الدرابزين المدهون . وتلك الجنينتان جعلها في ارضْ الدار عدا خمسة عشر موضعاً فيها الزرابع والاشجار وقيمة مساحتها من اصل ارض الدار . (فالجنينة الاولى) وهي الكبيرة في نصف الدار . و(الثانية) في الجهة الغربية من الدار بجانب الباب الذي يُدخَل به من باب الدار

"وجعل في ارض الدار ايضاً بحرتين : احداهما شرقية والثانية غربية . (فالشرقية) شرقي الجنينة الاولى ومساحتها من اصل مساحة ارض الدار وقدرها طولاً عشرون

---

١) كلمة فارسية ويقال الدرابزون ايضاً وهي اطار خشبي او حديدي على السلالم ونحوها

٢) يريد المزروعات كأنها جمع زريبة

٣) الصقالة إيطالية بمعنى درج ومرتفع على اعمدة

٤) لا نعلم معناها ولعلها (عريلي) نسبة الى بلدة عريل قرب دمشق

ذراعاً وعرضاً عشرة اذرع. وارتفاعاً من ارض البحرة الى اعلى الكتف ذراعين ونصف ومن جهة الدار للكتف ذراع وربع. وجعل لها سبعين (١ كبيرين يخرج منها الماء بشدة وفي وسطها كاس كبير يخرج ايضاً منهُ الماء. والبحرة الثانية غربي تلك الجنينة الاولى وشرقي الثانية متوسطتان بين الجنينتين وهي مستديرة كالدائرة ومساحتها قيمة خمسة وثلاثين ذراعاً تجاه القاعة الكبرى. وجعل القاعة المذكورة كما ذكرنا قبلية غرب الدار. وجعل نظير بنائها الى الشرق للقبلة ايواناً وذلك الايوان متقن الصناعة مساحتهُ قيمة مائة وعشرون ذراعاً عرضاً وطولاً وارتفاعاً خمسة وعشرون ذراعاً. وجعل طوانهُ من الخشب المار ذكرهُ وقوسه بديع الصناعة باتساعهِ ونقشهِ بماء الذهب والدهان العجيب. وللايوان شعيرة منتخرة بالاحجار المرخمة وباسفلهِ عتبة داخلة القوس طولها ذراعان وعرضها عرض الايوان اثنتا عشر ذراع مرخمة بالرخام الجليل. وبمؤخر القبة لكل من الجهة الشرقية والغربية أوض (٢ على كتف ذلك الايوان والاوض ايضاً داخلين القوس المذكور وتلك الاوض متقنة الصناعة ولها شبابيك على الايوان المذكور والبعض على ارض الدار وبظهرها مركب قصران عجيبان. واسقف تلك القصور ممدة بسقف ذلك الايوان. وكل من القصور متقن الصناعة بل انما القصر الغربي انما هو اتقن صناعة واجمل بنياناً اتساعهُ مائة ذراع مساحةً جعل دائره حلقة من الخشب المدهن الدهان الجليل المنقوشة بماء الذهب. وشبابيكه مطلة على ارض الدار. وطوانهُ من اجمل الصناعات المار ذكرها. وللحائط الغربي كشبه المدخنة وصنعتها تبهر العقل لعظم ما فيها من اللطافة وحسن الصنعة. وهي جميعها من الاحجار الصغيرة المرمرية والرخام الابيض والاسود والاحمر ومتزل بفصوص الصدف الثافر المنزل بماء الذهب. وعلى دائرة القصر مكتوب بماء الذهب هذه الابيات:

يا منزل البشرى ومنتى التهاني ... بارك (٣ طرف البشر طاق الثاني

يا معقلاً طال سديراً علا ... وما بنى يمنك (٤ انو شروان

---

١) اي اسدين

٢) بمعنى غرف

٣) كذا في الاصل ولعلها «جاراك» ونحوها

٤) كذا في الاصل ولعل الصواب «وما بنت يُمنى انوشروان»

قصرٌ غدا يقصر عن وصفهِ كلُّ فصيح القول طاق اللسانِ
نادٍ رحيبٌ شيد بنيانهُ بزخرفٍ من عبقريّ الجنانِ
جهاته الستة طول المدى مكلوءة بالسبع سبع المثاني
عبْرٌ يجلو لأبصارنا من كل ضدّ ورد دهان (١
قد زيد بالوشي زادها كما قد زيد بالوشم زادها الحسان (٢
لمّا حكى روضَ الغنى وشيهُ غدت تطوف الانس فيهِ دواني
لله يصلح ان يعتدوا خناصر الإعجاب طول الزمانِ
اني وبانيهِ الذي قد حوى مكارماً اعرب عنها اللسان (٣
اسعدُ الزاكي السجايا ومن اصبح والمجد عتيد (٤ دهانِ
وزيرٌ (٥رحيب الصدر ذو همة سمت بهِ عن كل قاصٍ ودانِ

«وفيه عتبة جميلة المنظر وهي جميعها من الحجر القيشاني الممتاز وخزانة داخلية متسعة وبين بناء ذلك الايوان واوض للقصورة (٦ وبين القاعة الكبيرة فسحة متسعة طولاً وعرضاً مائة وعشرون ذراعاً من اصل مساحة ارض الدار وهي دكة عالية عن ارض الدار بذراع ومحلها مزروعات واشجار . وغربي تلك الدكة لجانب القاعة استطراق بعرض ذراعين ذراعين وربع . وشرقي تلك الدكّة للايوان ايضاً استطراق ذراعين وربع . وتلك الدكة متوسطة ما بين القاعة والايوان والحاجز بينها الاستطراقات المذكورة . فالاستطراق الغربي الذي بجانب القاعة على طول تلك الدكة بمقدار عشرة اذرع يُدخل منهُ الى باب من الحديد الى بستان متسع قيمة مساحتهِ الف وخمسمائة ذراع فيه من الفواكه اليانعة ومن الازهار والاشجار ودوالي العنب ما يحيّر . وبه طالعان (٧ للماء يسقيان كافة الدار جميعها (احدهما) كبير وسعة ثقبه لو أنزل به بطيخة خضراء وافية بالكبر لنزلت بكل سهولة . و(الثاني) صغير

١) ولعل الصواب «في كل ضدّ وردة من دهان» ٢) البيت مضطرب ولعل تصحيحه : قد زين بالوشي ازدها» كما قد زين بالوشم زنود الحسان
٣) لعل الصواب (لساني)
٤) الأولى «عتيدي» ٥) الأولى «شهم» ونحوه
٦) القصورة عند العامة جمع قصر والصواب (قصور)
٧) الطالع في عرف اهل دمشق محل اجتماع المياه للاستقاء

يجري منها الماء الى جميع المحلات اللازمة من الدار ويسقي ذلك البستان . والجنينة الكبرى تشرب من البحرة الكبرى التي تجاه الايوان الكبير . والجنينة الصغرى تشرب من البحرة المستديرة التي تجاه القاعة الكبرى بقساطل تحت الارض . وذلك البستان بعضهُ بقنّ القاعة الكبرى وشبابيك الايوان الصدراني مع الخزانة جميعها تطلّ على ذلك البستان . وبعضه بجانب الدكة المذكورة اعلاه التي بجانب القاعة . والايوان على عرضها . والاستطراق الشرقي الذي بجانب الايوان يُدخل به الى بَراني(١ حمّام بصدر ذلك البراني ايوان محكم الصناعة ولهُ شبابيك غربية وقبلية تطلّ على ذلك البستان المار ذكره

«وللايوان عتبة واسعة باوسط تلك القبّة بحرة مستديرة صغيرة بساحة عشرة اذرع استدارتها باربعة اثقاب يخرج الماء منها . وتلك البحرة مع القبة جميعها من الحجر الرخام الملوّن وللعتبة قبة مرتفعة كقبب الحمامي . وبتلك العتبة الى الشرق بجانب الايوان باب يدخل منه الى الحمّام (٢ وذلك الحمام جعله بديع الصنعة جعل باوسط الحمام دكة جميلة متزّلة بالاحجار المعتبرة وبوسط صدر تلك البركة سلسبيل ينزل منه الماء الى فسقية باول تلك الدكة يخرج منها الماء ايضاً من اثقاب متعددة . ويجتمع ماء السلسبيل ويصبّان في سلسبيل ايضاً لتصريف الماء . وجعل في ذلك الحمام ثلاث مقاصير واربعة اجران بدون مقاصير . وفيه ثلاثة اجران تحير العقول بما فيها من الصناعة الجنيلة ولم يُرَ مثلها وحجرها من ابدع الاحجار المرمرية بعضها محفور ومنزل به ماء الذهب من عروق واشجار وما اشبه ذلك . والبعض منقوش مثمر من العروق والمشجرات اللطيفة . وباحدى المقاصير مغطس جميل وبتلك المقصورة جرن ساده (٣ ليس منقوشاً من ابدع ما يكون من الاحجار التي ليس موجود شبيهاً لها بالرقّة دقيق كثيراً بحيث لو اصابهُ احد بيده يسمع لهُ رنة كرنين الصيني . وتلك المقصورة حائطها بجانب ضريح سيدنا معاوية (٤ الاموي الصحابي رضي الله عنه . وجعل تجاه القاعة

١) البراني جمع برنية وهي اناء خزفي اشبه بالجرة وقيل القارورة واراد بها زجاج الحمام

٢) ان حمام هذا القصر كان خرباً في الايام الاخيرة

٣) كلمة فارسية عربت بكلمة (ساذج)

٤) اختلف المؤرخون في محل قبر معاوية بن ابي سفيان الاموي ولاسيما بعد ان خرّب السفاح العباسي آثار الامويين وقيل انه مدفون في مقبرة باب الصغير والله اعلم

الكبرى الى الشمال (ديوان خانه) (١ بخمسة اقواس من الحجر المنقوش البديع على اربعة اعمدة اثنين مزيّ واثنين رخام ابيض . وجعل على جوانب ذلك الديوانخانة دكتين متسعتين متقابلتين احداهما شرقية والاخرى غربية وعلى دائرهما الى ارض الدار درابزين من الخشب المدهون وارضها مفروشة بالاحجار المرخمة المنوعة . وفي كل منهما فسقية كبيرة مستديرة بثلاث طبقات بعضها فوق بعض

(فالطبقة الاولى) مساحتها بالاستدارة سبعة اذرع و(الثانية) خمسة اذرع . و(الثالثة) ثلاثة اذرع . وكل منها له اثقاب عديدة يخرج منها الماء بشدة وينزل الى اوسط تلك الدكة سلسبيل صغير ينزل به الماء وما بين الدكتين عتبة للديوانخانة مزلّة باصناف الحجارة الجميلة . وفي اوسط القبة بحرة لطيفة يخرج الماء منها من اثقاب متعددة . وفي صدر ذلك الديوانخانة ثلاثة ابواب لثلاث اوض بعضها بجانب بعض في داخل ذلك الديوانخانة . وتلك الاوض متقنة الصناعة من نقش ودهان وخلافه وتجاه الايوان القاعة . وجعل في باقي الدار من الغرف خمسة وعشرون اوضه وكلٌ منها مساحتها قيمة اربعة وستين ذراعاً . وكل منها متقن الصناعة كما ذكرنا من النقش العجيب والدهان اللطيف وفي كل منها من الحلقات الخشب دائرها المنقوش بماء الذهب والدهان البديع مع اتقان اسقفها . ولكل اوضة منها خزانة وعتبة من الرخام البديع . ومصب من حجر القيشاني المعتبر . وعلى دوائرها من المدح في حق صاحب الرسالة من الهمزية والبردة مكتوب بماء الذهب والبعض احاديث نبوية وآيات قرآنية . ويصدر الدار اوضة من جملة الاوض التي كانت معدّة لباني الدار وهي اعظم واجل واتقن صناعة من كافّة الاوض متقونة الصناعة والكتابة . مكتوب ايضاً على دائرها بماء الذهب تاريخ بمدح صاحب الدار وهو :

بيت التهاني باسمُ مستنيرْ ... بُني بتوفيق المعين القديرْ
شمس المعالي وسط افلاكهِ ... مشرقة ما إن لها من نظيرْ
والسعد فيهِ لم يزل قائماً ... في موسم الافراح فوق السريرْ
يخدمهُ المجد ويأوي الى ... ابوابه والعزّ فهو النصيرْ
يا اسعد الحظ ويا من لهُ ... في ذروة الفخر مقام كبيرْ

١) كلمة تركية بمعنى غرفة خارجية للجلوس فيها احياناً

ساعدك الزمن رسّ الملا ودمت محروس الجناب المطيرْ
في دولة محفوظة سرمدًا بحفظ آيات الكتاب المنيرْ
عمّرتَ بالتقوى ديار الهنا وأمن اللاجي ومن يستجيرْ
ونلتَ كل الخير من ربّنا لأنّ لهُ اخلص منك الضميرْ
بشراك نيل القصد يا ذا العلا فالله كافيك ونعم النصيرْ
يا نفحة المندل من ذكره شرقًا وغربًا طاب منك السميرْ
وواردِ الالهام لمّا انثنى وفاض بحر الجود ذاك الغزيرْ
اشار بالمدح عقيب الثنا وجاء فيه بيت شعر يشيرْ
بانك الآمن في سربه ما اعلن الداعي وحيًا البشيرْ
يا جملة الناس قفوا وانظروا محاسنًا جلّت بناها الاميرْ
بيت اتى تاريخهُ للهنا (١ شيّدهُ اسعد باشا الوزيرْ (١١٦٣)

وجعل فيه (دائرة ايضاً للطبخ) فيها بحرة واسعة ومطبخان للطبخ وعشرة اقبية شيء منها للحطب وشيء للفحم وشيء للمونة وما اشبه ذلك. وجعل فيه خمسة سلالم من الحجر ما ينوف عن اربعة واربعين درجة الى اعلاه وجعل في اعلاه دوائر عبارة عن ثلاثين محلًا. وكل منها عمارتها وابداع صنعتها كالاوض الصغار. ومساحة كل منها عشر بعشر. وابدع من ذلك جعل في الاعلى على ظهر الديوانخانه (٢ ايضاً ديوانخانة مثلها كما مشروحة بخمسة اقواص من المنقوش البديع على اربعة عواميد من الرخام مثل السفلى. ودكتين متقابلتين وعتبة وكلها مفروشة بالحجر الرخام المرمري وبصدرها ثلاثة دوائر كالاسفل. وجعل في الوجه الغربي من الاعلى ايضاً ديوانخانة ولكنها من الخشب البديع الصناعة. وفي صدرها قصر متسع وبجوانب ذلك القصر من القبلة والشمال يخرج بدرجين متقابلين بعضها لبعض يلتقيان بديوانخانه باعلى السفلى المذكورة. وفي صدرها قصرين مركبين على باب الدار وارتفاعهما من وجه الارض بجانب باب الدار الى اعلاها قيمة خمسة وخمسين ذراعاً. وتلك القصور احدها متسع

١) رسم (الف) المشهورة كتابتها بالقصورة بالف ممدودة لتوافق جُمَّل التاريخ للسنة المطلوبة

٢) كُتبت احيانًا «الديوار خان» وهي تحريف «الديوانخانه»

مساحته مائة وخمسون ذراعاً وله شبابيك بعضها على السوق وهو سوق البزورية وبعضها على الدار وهي متقنة الصناعة. وحلقته وطوانهُ من ابدع ما يكون ومكتوب على دائره مدح في حق النبي (ص) وابيات هي :

قصرٌ الوزارة منزل السُّعداء حلَّت بك البشرى بطول بقاء
فهنك مقرُّ عزٍّ(١) شُيِّدت اركانه بالعزّ والعلياء
وغدت به وُرْق السيادة والعلا تشدو بطيب ترنُّمٍ وغناء
وسرت له من قاسيونَ ومنحنى انفاس نشر الروضة الغنّاء
بجناب من فيه الوزارة شُرِّفت وسمت بسوددهِ على العلياء
شهمٌ لفرط ذكائهِ ولزمهِ خضعت اولو الانظار والآراء
من قد حمى حجَّاج بيت الله في ايام دولتهِ عن اللاواء
وبعدله زادت محاسن جلّق فجرت فواضلها على الشهباء(٢)
يا خير من ملك الرقاب بحلمهِ وبأسهِ والراحة البيضاء
دُمْ حاكماً في شامنا واسلم لنا طول الزمان ببيئة غرّاء
ما فاه تاريخ ببيتٍ شُيِّدت ارجاءهُ فيك وفاز بالسرّاء
يا موطن الآلاء دام بك الهنا ببهاء دولة اسعد الوزراء (١١٦٣)

وبجانبه قصر ايضاً مساحته ثمانون ذراعاً وفيه ايضاً من الاتقان وعلى دائره من الكتابة المدح بحق خير البرية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اجمعين والحمد لله رب العالمين — هذا ما تمّ لنا من اوصاف السراية المذكورة» (اه)

هذا ما رأيته كافياً في وصف ذلك القصر مع بعض رسومه والله من وراء حسن القصد

١) اصله «فهنك مقر قد شيدت» فلا يستقيم به الوزن فحرَّرتهُ كما ترى
٢) وفي الاصل «وبعدله المحاسن زُادت جلقٌ جرت فواضلها على الشهباء» فحررته كما ترى